الواقع الحضري في ليبيا

محمد علي الطاهر وفاء

قسم الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني- كلية الهندسة - جامعة الفاتح

الملخص:

تبحث هذه الورقة البحثية في الواقع الحضري في ليبيا من خلال وصف للظاهرة الحضريـة التي مرت بها البلاد من بداية الاحتلال الإيطالي سنة 1911 لغاية سنة 2006 . وتتطرق إلى النمـو السكاني خاصة سكان الحضر ، الذي كان سببا في تطور ونمو سريع للتجمعات العمرانية وفي زيـادة سكانية مرتفعة لهذه التجمعات ، كما تتعرض هذه الورقة إلى الديناميكية الحضرية التي مرت بها البلاد خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة ، وإلى التوزيع غير المتكافئ في الشبكة الحضرية وسكانهـا على مستوى البلاد ، وإلى التدرج الهرمي للسكان من حيث الرتبة والحجم . وقد أدى هذا الواقـع الحضري إلى تعميم ظاهرة التحضر على نطاق واسع في هذه التجمعات حيث وصل معدل التحضر سنة 2006 إلى 86% . وأخيرا حاول الباحث من خلال هذه الورقة البحثية أن يبين الآثار السلبية التي تركها هذا النمو السريع والمكثف على البنية الاجتماعية والمكانية وإعطاء بعض المؤشرات للحل .

الكلمات المفتاحية : التحضر ؛ الديناميكية الحضرية ؛ النمو السكاني ؛ النمـو العمراني ؛ الفضاء الحضري ؛ تطور المدن ؛ التدرج الهرمي ؛ الرتبة ؛ الحجم .

مقدمة :

عرّف بيار جورج التحضر بأنه "عملية تطور المدن من حيث عدد السكان والامتداد العمراني وأيضا من حيث أسلوب المعيشة . يمثل التزايد السكاني المكثف في الماضي في المدن نفسها النموذج الرئيسي للتوسع العمراني (كثافات سكانية وإنشائية عالية) . ولكن منذ عدة عقود تجاوز هذا التزايد الفضاءات الحضرية مكونا مناطق عمرانية في الضواحي والأطراف" . وما يميز هذا التعريف هو ربطه لعملية التحضر بالديناميكية الحضرية . وهو ينطبق على الواقع الحضري في ليبيا ، الذي له خاصيته ، والذي سنحاول دراسته وشرحه لاحقا . حيث اعتمدت الدراسة على منهجية تحليل البيانات والمستندات ذات الصلة بالعملية الحضرية في ليبيا .

وصف الظاهرة الحضرية :

تعتبر ليبيا على حد سواء بلداً يطل على البحر المتوسط ذا نشاط بحري ، وبلد صحراوي ، مثل تاريخيا نقطة عبور للقوافل اتجاه أواسط إفريقيا . وقد أعطاها هذا الموقع الجغرافي بعض الأهمية وأثر في عملية تطورها على مر العصور . وتشهد على هذه الأهمية مدنها الشهيرة مثل أويا (طرابلس) ، لبدة الكبرى ، صبراتة ، قورينة ، سوسة ، وطلميثة ، و مدنها الصحراوية كجرمة ، غدامس ، غات ، ومرزق . ومع ذلك ، لا يوجد بليبيا حتى أوائل القرن العشرين إلا عدد قليل جدا من التجمعات السكانية التي يمكن أن نصنفها كمدن . نحن بالأحرى أمام تجمعات صغيرة ترتكز على أنشطة عدد محدود من السكان وتتجمع فيها الوظائف ذات الطابع الحضري كالتجارة ، الإدارة، الحرف اليدوية ، والثكنات العسكرية مما يؤكد وجود قوة استعمارية في تلك الفترة . كما أن عدد سكان ليبيا سنة 1911 قبل الاحتلال الإيطالي كان يتراوح بين 800.000 ومليون نسمة . وكان هناك عدد أربع مدن فقط وهي عبارة عن مراكز إدارية إقليمية ، التي بلغ عدد سكان كل منها أكثر من 5000 نسمة من إجمالي سكان الحضر ، الذي يقدر عدده بحوالي 60.000 نسمة ، وهو ما يمثل 7% من إجمالي سكان البلاد .

حدث تغير في النمو السكاني لاحقا خلال الأربعين سنة التي تلت حيث أصبح نمو سكان الحضر أسرع من نمو إجمالي السكان ، فوفقا لإحصائيات سنة 1954 اتضح أن شبكة المدن الليبية من أبسط الشبكات ، حيث تكونت من تسع مدن فقط والتي يفوق عدد سكان كل منها 5000 نسمة ، فبلغ مجموع إجمالي سكان الحضر 270.000

نسمة ، وبلغ عدد السكان الإجمالي للبلاد 1.089.000 نسمة وبلـــغ عـدد سكان أكبر مدينتين "طرابلس وبنغازي" على التوالي 130,000 و70.000 نسمة ، وهذا العـدد يمثل 18% من إجمالي السكان .

مع منتصف الخمسينات شـهدت عمليـة التحضر قفـزة كبيرة وسريعة ، حيث تضاعف عدد سكان الحضر إلى حوالي ثلاث مرات في غضون عقد من الزمن من 270.000 نسمة سنة 1954 إلى 735.000 نسمة سنة 1964 . واستمر هذا النمو الهائل بوتيرة متسارعة حيث وصل حسب إحصاء 1995 إلى أكثر من 3.608.000 نسمة وإلى 4.601.000 نسمة سنة 2006 . نلاحظ جيدا وبالمقارنة مع أوضاع أخرى للنمو ، مثل تلك التي تتميز بها المدن الكبرى في أوروبا ، حيث تعرضت تجمعاتها السكانية إلى موجات من التحركات السكانية على فترات متباعدة عبر التاريخ ،على خلاف ليبيا حيث كان تطـور ونمو المدن فيها متأخر جدا ، وهذا التطور والنمو الـذي شهدته ليبيا مؤخرا قد جاء بطريقة سريعـة ومفاجئة أحدث هزة عنيفة في المجتمع الليبي الذي يغلب عليه طابع البداوة والريف ، مما أدى إلـى وجود مواجهة وصراع بين عادات وتقاليد المجتمع والمتطلبات والمقتضيات الجديدة للعالم الحضري .

جدول1: تطور سكان الحضر ومعدل التحضر في ليبيا من سنة 1954 إلى سنة 2006

التاريـــخ	إجمالي السكان	سكان الحضر	معدل التحضر
1954	1.089.000	270.000	%25
1964	1.564.000	735.000	%47
1973	2.249.000	1.344.000	%60
1980	3.266.000	2.156.000	%66
1984	3.637.000	2.809.000	%77
1995	4.400.000	3.608.000	%82
2006	5.350.000	4.601.000	%86

المصدر: 1ـ اللجنة الشعبية العامة للمرافق ، تطور المخطط الطبيعي في ليبيا المخطط الطبيعي 1981 ـ 2000 .

2ـ الهيئة العامة للمعلومات التعداد العام للسكان لسنة 1995 ، 2006 .

في سنة 1954 يقطن شخص واحد من كل أربعة أشخاص "المدينة" ومنذ سنة 1973 أصبح عدد سكان الحضر أكثر من سكان الريف . ووصل معدل التحضر إلى 86% حسب إحصائيات سنة 2006 انظر جدول (1) . يضع هذا المعدل المرتفع ليبيا بين البلدان الأكثر تحضرا في العالم .

فترات ذروة التحضر :

يمكن تمييز مرحلتين رئيسيتين ضمن الاتجاه العام الذي أدى بالبلد إلى تحضر سريع ومكثف . المرحلة الأولى تمتد من فترة الاحتلال الإيطالي إلى منتصف الخمسينات ، أي بعد الاستقلال مباشرة وبداية اكتشاف النفط ، خلال فترة الاحتلال الإيطالي من 1911 إلى 1942 ، انخفض عدد سكان الحضر الليبيين بسبب هجرة الليبيين إلى الخارج . ولكن ازداد بسكان حضر جدد من المستوطنين الإيطاليين الذين تم توطينهم في المراكز الحضرية الساحلية الكبرى والمراكز الاستعمارية الجديدة .

وترجع زيادة سكان الحضر خلال الفترة 1911 ـ 1942 إلى توافد المستوطنين بأعداد هائلة إلى ليبيا ، مكونا جالية إيطالية كبيرة وصل عددها سنة 1941 إلى 110.000 نسمة . ومنذ ذلك التاريخ وعدد الإيطاليين في تراجع مستمر ، حيث وصل عددهم سنة 1954 إلى 38.000 نسمة . في المقابل شاهدنا ارتفاعاً ملحوظاً في سكان الحضر الليبيين ، بسبب الاستقرار الذي عرفته البلاد في الخمسينات ، وإلى التحسن النسبي في المستوى الاقتصادي وإلى هجرة أهل الريف نحو المدن . ففي نفس الفترة (1954) تقدر نسبة سكان الحضر ، والذين معظمهم من الليبيين ، إلى إجمالي السكان بحوالي 25% .

تمتد المرحلة الثانية من منتصف الخمسينات لغاية سنة 2006 ،حيث شهد سكان ليبيا خلال هذه المرحلة تحولاً كبيراً ، يرجع ذلك إلى عاملين أساسيين : الأول مرتبط بعائدات النفط التي كانت سببا في التسريع الكبير لعملية التحضر . والثاني بسبب رحيل الإيطاليين من المدن الليبية ، حيث حل محلهم مواطنون ليبيون . وهكذا قد تم إعادة توزيع السكان بليبيا والذي اتسم بنمو مكثف لسكان الحضر ، حيث قدرت النسبة المئوية لسكان الحضر سنة 1954 بحوالي 25% لترتفع سنة 2006 إلى 86% . ومعظم هذه الزيادة تركزت في تجمعين سكنيين كبيرين عمرانيين هما طرابلس وبنغازي .

وتيرة النمو العمراني :

بين عامي 1911 و 1954 ازداد عدد سكان الحضر بنسبة تقارب 350% في حين أن عـــدد إجمالي السكان لم يزدد إلا بنسبة 20% . يمكن تفسير هذه الزيادة الضعيفة لنمو عدد إجمالي السكـان بسبب المقاومة العنيفة ضد الاحتلال الإيطالي مـن قبـل المـواطنين ، وإلى الهجرات الجماعية من الليبيين إلى الدول المجاورة . يضاف إلى هـذا السياق الحـرب العالمية الثانية ، التي كانت من خلالها ليبيا مسرحا لقتال شرس بين قوات الحلفاء وقوات المحور . في المقابل إن تفسير النسبة المرتفعة من نمو سكـان الحضر يرجع إلى تواجد عدد كبير من الإيطاليين والأوروبـيين الـذين استقروا في المـدن ، في الفتـــرة مـا بـين 1911 و1942 وإلى هجرة أهل الريف نحو المدن ، وقد عزز هذا النمو نتيجـة الاسـتقرار الـذي شهدته البلاد ،بعد هزيمة إيطاليـا ، في ظـل الإدارة البريطانيـة في الـشمال والفرنـسية في الجنوب في الفترة ما بين 1942 إلى 1951 . حيث تقدم المدن فـرص عمـل أفـضل بـسبب التدهور الاقتصادي في المناطـق الريفية . بعد سنة 1951 ، سنة الاستقلال ، كانت زيادة النمو العمراني سريعة ، وتشير الإحـصـاءات الـسكانية الـتي أجريـت في سـنة 1954 ، 1964 ، 1973 ، 1984 ، 1995 ، 2006 إلى تسارع وتيرة النمو العمـراني انظـر جـدول (2) .

جدول 2

الديناميكية الحضرية : معدل الزيادة السكانية لسكان الحضر من 1954 إلى 2006

الفتـــرة	سكـان الحضـر	إجمالي السكـان
1964_1954	%9,9	3,6
1973_1964	%7	%4
1984_1973	%6، 6	%4,2
1995_1984	%3,5	%2,6
2006_1995	%3	%2,4

من سنة 1984 إلى سنة 1995 ، كانت معدلات النمو السنوية لسكان الحضر وإجمالي السكان على التوالي هي 3,5% و 2,6% ، ومن سنة 1995 إلى 2006 ، تغيرت معدلات النمو السنوية لسكان الحضر وإجمالي السكان على التوالي إلى 3% و2,4% . حيث نلاحظ انخفاضا في معدلات النمو لسكان الحضر وإجمالي السكان خلال هاتين الفترتين ، بسبب انخفاض معدلات الولادة واستقرار سكان الريف في مناطقهم .

جدول 3

نمو سكان الحضر والريف في ليبيا

التاريخ	إجمالي السكان	سكان الحضر	%	سكان الريف	%
1954	1.089.000	270.000	%25	819.000	%75
1964	1.564.000	735.000	%47	829.000	%53
1973	2.249.000	1.344.000	%60	905.000	%40
1980	3.266.000	2.156.000	%66	1.110.000	%34
1984	3.637.000	2.809.000	%77	828.000	%23
1995	4.400.000	3.608.000	%82	792.000	%18
2006	5.350.000	4.601.000	%86	749.000	%14

المصدر: 1ـ اللجنة الشعبية العامة للمرافق ، تطور المخطط الطبيعي في ليبيا المخطط الطبيعي 2000.1981 .

2ـ الهيئة العامة للمعلومات التعداد العام للسكان لسنة 1995 ، 2006 .

فيما بين 1980 و2006 ، قدرت الزيادة السكانية لإجمالي السكان بحوالي 2.084000 نسمة ، ولسكان الحضر بحوالي 2.445.000 نسمة ، في حين أن عدد سكان الريف سجل نقصا بحوالي 361.000 نسمة انظر جدول (3) . لقد سبب هذا النمو السكاني في توسع عمراني هائل وذلك بضم مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن ، وتحولت هذه الأراضي تدريجيا إلى مناطق حضرية . إن الانفجار العمراني الذي عرفته ليبيا خلال العقود الخمس الأخيرة كان عاملا حاسما في تغيير جذري للبنية الاجتماعية والمكانية للبلاد ، حيث نشاهد زحفاً هائلاً للفضاء الحضري على الأراضي الزراعية مع فقدان 2% سنويا منها لصالح الاستعمالات الحضرية ، هذا

الوضع مثير للقلق خاصة في بلد هو في حاجة ماسة لهذه الأراضي والتي تقدر بأقل من 2,5% من مساحته الكلية .

التجمع المكثف للأنشطة والسكان في المنطقة الساحلية :

إحدى المشاكل التي ظلت تواجه ليبيا ليومنا هذا التوزيع غير المتكافئ لسكانها وانتشارهم على أراضيها الشاسعة . إن المناطق الساحلية للبحر المتوسط من ناحية الشمال الغربي والشمال الشرقي هي الأكثر تطورا ، وتتمتع بنسبة عالية من السكان والأنشطة الاقتصادية .

تعاني ليبيا من ظروف طبيعية صعبة ويغلب عليها الطابع الصحراوي . في الواقع إن أقل من 2,5% من مساحتها التي تقدر بحوالي 1.785.500 كم2 صالحة للزراعة . وعلاوة على ذلك فإن الرياح الغربية والشمالية المشبعة بالرطوبة والقادمة من المحيط الأطلسي أو من شرق البحر المتوسط لا تصل إلى ليبيا ، ولهذا السبب فإن كمية الأمطار التي تهطل على ليبيا ضئيلة نسبيا . إن سبب نمو وتجمع أغلبية المدن في المناطق الشمالية الغربية والشمالية الشرقية راجع ولو جزئيا إلى هذه الظروف الصعبة للغاية . فلو اتجهنا إلى وسط البلاد ناحية الشمال وإلى جنوبها نجد المدن أكثر تباعدا ، ويلاحظ أيضا أنه هناك تفاوتاً بنسب كبيرة في عدد السكان بين منطقة وأخرى انظر شكل (1) . هذا التباين الكبير يقودنا إلى تحديد نوعين من التجمعات العمرانية ، النوع الأول في شمال البلاد وتقع فيه اثنتان من أكبر المناطق تحضرا في ليبيا ، الأولى على الساحل الغربي ويوجد بها أكبر تجمع عمراني في البلاد (طرابلس) ، ويحتضن أكبر عدد من سكان الحضر . والثانية على الساحل الشرقي ويوجد بها ثاني أكبر تجمع عمراني بالبلاد (بنغازي) ويحتضن هو أيضا عدداً كبيراً من سكان الحضر . وبالتالي يمكن أن نعتبر ليبيا بوصفها فضاء ذا قطبين حيث يشكل الساحلان الغربي والشرقي حوالي 90% من إجمالي سكان البلاد . تمتد بين هاتين المنطقتين منطقة صحراوية مترامية الأطراف ، حيث تكاد أن تكون الحياة الحضرية شبه معدومة ، ما عدا مدينتين متوسطة الحجم كسرت وأجدابيا . النوع الثاني من التجمع العمراني يقع في الجنوب وبه منطقتان: الأولى منطقة إقليم سبها في الجنوب الغربي ، فهي المنطقة الأقل تحضرا بالبلاد حيث توجد بها عدد من الواحات

والتجمع العمراني لسبها مركز الإقليم ، ويبلغ عدد سكانه حوالي 100.000 نسمة . أما الثانية فهي منطقة الجنوب الشرقي ، منطقة صحراوية بالكامل وغير مأهولة بالسكان .

كما ذكرنا مسبقا ، فإن التوزيع غير المتوازن للمدن الليبية سببه إلى حد كبير الظروف الطبيعية القاسية . إذ تعاني معظم مناطق البلاد من البيئة الصحراوية ذات الظروف المناخية القاسية ، حيث المناخ الحار وندرة المياه في هذه المناطق . وهذا ما يفسر المعدل المرتفع للتحضر على الواجهة البحرية .

مع ذلك فإن النمو العمراني المميز ناتج أيضا عن التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي خصت به الواجهة البحرية على مر السنين ، والذي ساعد على تعزيز هذا الاختلال في التوازن "الطبيعي" للتحضر بين مناطق مختلفة من البلاد .

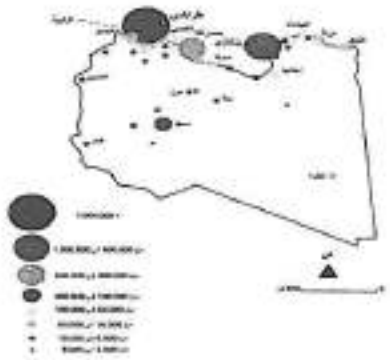

شكل 1: تجمع السكان في شمال غرب وشمال شرق البلاد

النمو العمراني الغير متجانس واختيار ترتيب المدن في ليبيا :

ما هو تعريف المنطقة الحضرية في ليبيا؟ تعرّف المنطقة الحضرية حسب التعريف الرسمي للجهات المسؤولة بأنها "تجمع سكاني لا يمتهن الزراعة ويتمتع بخدمات إدارية وعدد سكانه لا يقل عن 3000 نسمة" . انطلاقا من هذا التعريف يمكن التمييز بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية ، ويمكن أن يميز التدرج الهرمي وفقا للحجم والمكانة والرتبة التي تحتلها مدن مختلفة من البلاد . وتضعنا هذه الهيكلية للفضاء الحضري أمام فروقات كبيرة لعدد السكان في مختلف التصنيفات ، وتبين الاختلال الموجود حاليا في

التوازن من حيث حجم السكان لكل صنف . وسنحاول دراسة التدرج الهرمي للسكان في التجمعات العمرانية استنادا للبيانات المتاحة لنا .

ويبين جدول (4) التدرج الهرمي لسكان الحضر على النحو التالي:

جدول 4

التدرج الهرمي لسكان الحضر بليبيا : الرتبة والحجم

الرتبة	تصنيف الحجم
1	أكثر من 1 .000. 000 نسمة (طرابلس) من 500 .000 إلى 1 .000. 000 نسمة (بنغازي) من 300 .000 إلى 500 .000 نسمة (مصراتة)
2	من 100 .000 إلى 300 .000 نسمة
3	من 50 .000 إلى 100 .000 نسمة
4	من 10 .000 إلى 50 .000 نسمة
5	من 5 .000 إلى 10 .000 نسمة
6	من 3 .000 إلى 5 .000 نسمة

تتميز ليبيا بخاصيتين رئيسيتين لعملية التحضر: من ناحية هيمنة طرابلس ومن ناحية أخرى زيادة عدد المدن صغيرة الحجم . ويجب ذكر حقيقة ثانية ألا وهي درجة التحضر التي وصلت إليها البلاد . وبالتالي يبقى التجمع العمراني لطرابلس أكبر وأهم تجمع بالبلاد ، حيث وصل عدد سكانه سنة 2006 حوالي 1.376.000 نسمة ، وهو ما يمثل على التوالي 30% من سكان الحضر و 26% من إجمالي السكان . وهذه الهيمنة ترجع إلى ثقل طرابلس التاريخي والاقتصادي والصناعي والزراعي والإداري ، وإلى موقعها الجغرافي المتميز . تاركة وراءها كلاً من بنغازي ومصراتة والتي تعتبر من أكبر التجمعات العمرانية في البلاد وتحتل هذه التجمعات الرتبة الأولى حسب التصنيف . وتعتبر بنغازي ومصراتة قطبين حضريين لهما مكانة هامة في الديناميكية الحضرية للبلاد . وتلعب كذلك التجمعات العمرانية من الرتبة الثانية والثالثة ويصل عددها إلى

13 تجمع عمراني متوسط الحجم دورا نسبيا مهما في الديناميكية الحضرية للبلاد . توزعت معظمها علي الشريط الساحلي مسببة في اختلال كبير في هيكلة الشبكة الحضرية ، وهذا التوزيع وضح أهمية عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب . وتشمل الرتبة الرابعة والخامسة والسادسة معظم التجمعات العمرانية صغيرة الحجم ، والتي يصل عددها علـى مستوى البلاد إلى 113 . تعكس هذه التباينات الخصائص الرئيسية للواقع الحضري في ليبيا حيث تعاني الشبكة الحضرية من اختلال كبير في التوازن بين التجمعات السكنية . رغم وجود عدد كبير من التجمعات العمرانية من الحجم الصغير في مجموعها تمثل 20% من سكان الحضر بالبلاد يبقي التجمع العمراني لطرابلس هو الذي له التأثير الكبير والمهيمن على كافة البلاد ، انظر جدول (5) .

جدول 5

توزيع سكان الحضر حسب تصنيف الحجم

وتطور عدد التجمعات العمرانية بالنسبة لهذا التصنيف

الرتبة	تصنيف الحجم	ت .عمراني 1980	سكان الحضر سنة 1980	ت . عمراني 2006	سكان الحضر سنة 2006	%
ـ1ـ	1.000.000+	ـ0ـ	ـــــــ	ـ1ـ	ـ1.376.000ـ	%26
	000. 1.000 ـ 500.000	ـ1ـ	ـ 994.000ـ	ـ 1ـ	ـ705.000ـ	%13
	000. 500 ـ 300.000	ـ1ـ	ـ 380.000ـ	ـ 1ـ	ـ330.000ـ	%6
ـ2ـ	000. 300 ـ 000. 100	ـــ	ـــــــ	ـ7ـ	ـ000. 792ـ	%15
ـ3ـ	000. 100 ـ 000. 50	ـ5ـ	ـ000. 289ـ	ـ6ـ	ـ000. 371ـ	%7
ـ4ـ	000. 50ـ 000. 10	ـ13ـ	ـ000. 327ـ	ـ40ـ	ـ000. 713ـ	%13,5
ـ5ـ	000. 10 ـ 000. 5	ـ17ـ	ـ000. 112ـ	ـ35ـ	ـ000. 191ـ	%3,5
ـ6ـ	000. 5 ـ 000. 3	ـ22ـ	ـ000. 64ـ	ـ38ـ	ـ000. 125ـ	%2
المجموع	----------	ـ59ـ	ـ000. 156. 2ـ	ـ129ـ	ـ000. 601. 4ـ	%86

المصدر: 1ـ اللجنة الشعبية العامة للمرافق ، المخطط الطبيعي الوطني 1981ـ 2000 .

2ـ الهيئة العامة للمعلومات التعداد العام للسكان لسنة 1995 ، 2006 .

نلاحظ أن هناك في ليبيا ارتفاعاً كبيراً في عدد التجمعات العمرانية من الحجم الصغير والمتوسط . وهكذا في سنة 2006 ، تشكل التجمعات العمرانية التي عدد سكانها أكثر من 300.000 نسمة في مجموعها 52% من سكان الحضر وتشكل

التجمعات التي هي ما بين 50.000 و300.000 نسمة وكذلك التي ما بين 3.000 و50.000 على التوالي حوالي 22% و 19% من سكان الحضر . شهدت فعلا التجمعات العمرانية من الحجم المتوسط نموا كبيرا ، وبالتالي فإن عدد التجمعات ما بين 100.000 و300.000 نسمة ارتفع من صفر سنة 1980 إلى 7 في سنة 2006 . ومع ذلك ، فإن التجمعات العمرانية التي عددها ما بين 50.000 و 100.000 لم يزد عددها ولكن وصلت إلى الحد الأقصى من الحجم وأصبحت في سنة 2006 في الشريحة العليا من هذا التصنيف . في المقابل إن عدد التجمعات العمرانية من الحجم الصغير ما بين 3.000 و50.000 نسمة قد تضاعف حيث أصبح العدد في سنة 2006 ، 113 تجمعاً بدلا من 52 تجمعاً في سنة 1980 . فيما يخص كبرى التجمعات العمرانية بالبلاد ، تحتفظ طرابلس وبنغازي بهيمنتهما رغم التغير الكبير الذي حدث في نظامهما الحضري . حيث حدث انخفاض ملحوظ في نسبة سكان الحضر بهذين التجمعين فأصبحت نسبة سكان الحضر في سنة 2006 ، تساوي 45% مقابل 64% في سنة 1980 . بشكل عام يبدو أن ليبيا نجحت ولو جزئيا في تطوير عدد التجمعات العمرانية من الحجم الصغير والمتوسط ، رغم الظروف المناخية القاسية والمؤثرة على أجزاء كبيرة من أراضيها . بالإضافة إلى التوزيع غير المتكافئ للتجمعات العمرانية ، وهذا التوزيع في صالح المنطقة الساحلية ، نشاهد أيضا انخفاضاً ملحوظاً في عدد السكان داخل التجمعات العمرانية الكبرى . سنقوم بتحليل الزيادة السكانية واصفين الحجم وأهمية التراكم السكاني وفقا للتصنيف الموضح انظر جدول (6) ، وذلك لزيادة توضيح هذه الظاهرة المزدوجة من التحول الحضري وتطور الشبكة الحضرية غير المتكافئة في ليبيا ، . وهذا التحليل يسمح لنا بعرض الديناميكية الحضرية خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية .

جدول 6

توزيع الزيادة السكانية الحضرية وفقا للتصنيف من 1980 إلى 2006

تصنيف الحجم	الزيادة في الحجم	%
300.000 +	1.035.000	%43
300.000 ـ 100.000	789.000	%32,5
100.000 ـ 50.000	82.000	%3
50.000 ـ 10.000	386.000	%16
10.000 ـ 5.000	79.000	%3
5.000 ـ 3.000	61.000	%2,5
المجموع	2.432.000	%100

يبين الجدول أن العديد من التجمعات العمرانية والتي يزيد عدد سكانها على 300.000 نسمة وهي التي نالت أكبر عدد من سكان الحضر الجدد ، بالرغم من الانخفاض الكبير في عدد سكان الحضر الذي سجله أكبر تجمعين عمرانيين في سنة 2006 . كانت الزيادة في عدد سكان الحضر أكثر وضوحا في التجمعات العمرانية من الحجم المتوسط (50.000 إلى 300.000 نسمة) ، وتمثل 35,5% من الزيادة الإجمالية للفترة ما بين 1980 و2006 ، أي أكثر من طرابلس أكبر تجمع عمراني بالبلاد ، والذي كانت نسبة الزيادة فيه بحوالي 16% . غير أننا نلاحظ أن الزيادة السكانية غير متجانسة في الرتبة الثانية والرابعة من التجمعات العمرانية ، وما زالت تسجل التجمعات العمرانية من الرتبة الثالثة عجزا كبيرا . أما بالنسبة للتجمعات العمرانية من الحجم الصغير فإن نسبة الزيادة فيها تقدر بحوالي21,5% ، حيث أحرزت تقدماً ملحوظاً إذ وصلت إلى 526.000 من سكان الحضر الجدد خلال الخمس والعشرين سنة .

الخلاصة :

وفقا لتحليل البيانات المتعلقة بالنمو السكاني ندرك أن الواقع الحضري في ليبيا أدى إلى تعميم ظاهرة التحضر على نطاق واسع في هذه التجمعات حيث وصل معدل التحضر سنة 2006 إلى 86% وهذا ما جعل ليبيا من البلدان الأكثر تحضرا . وبشكل عام يبدو أن ليبيا نجحت ولو جزئيا في تطوير عدد التجمعات العمرانية من الحجم الصغير والمتوسط . ولكن المشكلة الكبرى التي تعاني منها ليبيا اليوم الامتداد العمراني الهائل والتطور غير المتكافئ للشبكة الحضرية وتجمع معظم التجمعات العمرانية ذات النسب العالية من السكان والأنشطة الاقتصادية على الشريط الساحلي . إضافة إلى الظروف الطبيعية القاسية التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ، حيث المناخ الحار وندرة المياه وقلة الأراضي الزراعية والتي تقدر بأقل من 2,5% من المساحة الكلية للبلاد . لو نظرنا إلى واقعنا ، نجد ليبيا أصبحت في معظمها مناطق حضرية وانتشارها تم بطريقة غير مدروسة وغير متحكم فيها وتغلب عليها العشوائية . إذا يجب علينا كلما أمكن ذلك الحد من فكرة توسع التجمعات العمرانية وامتدادها ، وفرض هذه الفكرة على الجميع كأمر واقع ، والأسئلة المطروحة أمامنا أين ومتى؟ يبدو أن التوسع العمراني على المستوى الوطني له مبرراته وضروري على المستوى المحلي ، حيث تقسيمات الأراضي الجديدة ، التوسع في مناطق الأنشطة وشق الطرقات ، علينا نقد كل هذه الأعمال لما لها من آثار بيئية سلبية على مظاهر الطبيعة ، ومن جانب آخر يجب أن يكون هناك وعي وحرص للمحافظة على البيئة . في الواقع أننا نقضي وبكل أسف على ما تقدمه كل أرض زراعية للأجيال القادمة من غذاء في بلد يفتقر إلى الأراضي الصالحة للزراعة . أي مخطط شامل أو عام لم يحتو على زيادة أراضي للتوسع العمراني ، على أن تتم فيه إمكانيات التوسع بطرق مدروسة ومحدودة ومعتدلة ، ويحرص أيضا في خطابه للسيطرة على النمو ، كم من وثائق تخطيطية تنبني فعلا في البداية فكرة الاحتياجات المستقبلية من مباني ومرافق إضافية والالتزام بإقامتها داخل المنطقة الحضرية القائمة ، لكن للأسف لم يتم الالتزام بهذه التوصيات ، ومنذ حوالي خمسة عقود والمناطق الحضرية تعاني من التوسع العشوائي وسوء استعمال للأراضي وتفتقر إلى نسيج عمراني متناسق وجيد وغالبا ما تكون هاتين الظاهرتين ذات ارتباط وثيق . من الممكن إيجاد

حلول لهذا التوسع ، وذلك بزيادة الكثافة الإنشائية في المناطق السكنية ومناطق الأنشطة المختلفة بأسلوب علمي ومنطقي حيث تمثل في حد ذاتها إمكانية وجود فضاءات تكاد لا تنتهي لإعادة البناء وفرصة إعادة التأهيل في آن واحد . أليست الأراضي الزراعية والغابات الطبيعية هي الأجدى بأن تكون لها الأولوية في التأكيد على أن مفهوم النمو العمراني يجب أن يصل إلى الحد الأدنى وتوجيهه التوجيه السليم ، وذلك من خلال خلق توازن بين هذا النمو والطبيعة ويطبق على أرض الواقع وبالتالي إظهار مدى أهميته؟

المراجع :

[1] GEORGE P ., VERGER F ., Dictionnaire de la géographie, Édition, Paris: PUF, 2004, 462p, p 435 . (In French).

[2] ARCANGELO GHISLERI, Tripolitania e Cirenaica (Milan-Bergamo,Società Editoriale Italiana, 1912, pp, 92-134 . (In Italian).

[3] AIT OUMEZIANE ., LEDUC A ., La recherche d'un équilibre régional en Libye, thèse de doctorat en géographie, Université de Paris I, 1991,(In French).

[4] CHALINE C ., Les villes du monde arabe, Édition, Paris : Armand Colin/Masson, 1996, pp 20-22 . (In French).

[5] ATTIR M .O ., Libya's Pattern of Urbanization, Ekistics, n°300, 1983, pp . 157-162

[6] BLAKE G .H ., « Urbanization and development planning in Libya .» in: Development of urban systems in Africa, Edited by Robert A . Obudho and Salah El-Shakhs, New York: Frederick A . Praeger, 1979, pp . 99-115.

[7] BORHAM A ., FIKRY M ., Le phénomène urbain en Libye . Problèmes juridiques et sociaux, Annuaire de l'Afrique de Nord, Paris, CNRS, vol XI, 1972, pp . 79-103.

(In French).

[8] ELKABIR Y .A ., Assimilation of rural migrants in Tripoli Libya, Ph .D . Dissertation, Cleveland, OH: Case Western Reserve University, 1972 .

[9] EL KABIR Y . A ., Migrants in Tripoli . A case study of Assimilation, University of Pittsburgh, 1980 134 p .

[10] EL KADI G ., Etude sub-régionale : Egypte, Libye, L'urbanisation et la gestion des villes dans les pays méditerranéens, Plan Bleu, Commission Méditerranéenne du Développement Durable, avril, 2001, 69 p, (In French)

[11] KEZEIRI S ., « L'explosion urbaine en Libye : la contribution des petites villes », in Signoles . P (dir .), Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe, Fascicule de recherche n°16-17, Tours, URBAMA, 1986, pp . 653-673, (In French) .

[12] علي الميلودي عمورة ، ليبيا تطور المدن والتخطيط الحضري ، الطبعة الأولى ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، 1998 ، 475 ص .

[13] الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، الهيئة العامة للمعلومات التعداد العام للسكان ، 1995 و 2006 .

[14] الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، أمانة اللجنة الشعبية العامة للمرافق ، المخطط الطبيعي الوطني طويل المدى 1981 ـ 2000 ، الدراسة المنقحة 1985 .

[15] الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، اللجنة الشعبية العامة ، مصلحة التخطيط العمراني ، ملخص عن تقرير المخطط الطبيعي الوطني طويل المدى 2000 ـ 2025 .